ملاحظات حول ثقافة الشريف الرضی و آرائه الکلامیة

پدیدآورده (ها) : الجعفری،محمد رضا
علوم قرآن و حدیث :: تراثنا :: السنة الثالثة، محرم، صفر، ربیع الاول 1408 - العدد 1
من 9 إلی 36
آدرس ثابت : http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/21739

دانلود شده توسط : علاء شبستری
تاریخ دانلود : 06/09/1436

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه،مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.ir

ملاحظات حول ثقافة الشريف الرضي وآرائه الكلامية

* نادرة الشريف (عُمَرِيّة) أم (عَمْرِيّة)؟ ومع من وقعت؟
* مقصورة الشريف خفيفة في ميزانه الشعري، أم ثقيلة على القلوب لأنّها حسينية؟

الشيخ محمد رضا الجعفري

لهذه البحوث تاريخ يطول ذكره، وملخّصه أنّه كان لي بحث مقتضب جداً حول الشريف الرضيّ كمتكلّم، طُلب منّي أنّ أُعيد النظر فيه وأعدّه للذكرى الألفية لوفاة الشريف الرضيّ، رضي الله عنه وأرضاه! ولكن إعادة النظر انتهت إلى ركام من الملاحظات ـ وأقول الملاحظات، لأنّ في تسلسلها كثير من الفجوات لم أستطع إلى الآن أن أملأها ـ حول ثقافة الشريف، وأساتذته، وعقيدته مذهباً وكلاماً، وآرائه الكلامية، ثمّ طُلب منّي فيما بعد أن أستلّ منها بحثاً يتناسب والعدد الذي يصدر من (تراثنا) في شهور ذكرى سيّد الشهداء، عليه وعلى المستشهدين معه سلام الله وتحياته وبركاته. وكان من بين تلك الملاحظات ما يعود إلى ما ذكره الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو في تصديره لديوان الشريف الرضي، الذي تولّت نشره له وزارة الإعلام في عراق صدام، وأهمّ ما يرجع منها إلى سيّد الشهداء عليه السلام أنّ الدكتور عمد إلى مقصورة الشريف الحسينية الشهيرة: (كربلا لا زلت كرباً وبلا) فحذفها من الديوان، ثمّ وضع المعاذير لذلك، وبذلك أثبت ـ عملياً ـ صدق قول الشريف: إنّ كربلاء ما زالت كرباً وبلا!

وقد ارتأيت أن أُقدّم، قبل البحث عمّا قاله حول المقصورة، بعض الملاحظات التي تعود إلى الشريف، ولها صلة ـ إلى حدّ ما ـ بما قاله حول المقصورة،

www.noormags.ir

كما لا يخفى على من قرأها، وأمّا التي لا ترتبط إلّا ضمن الإطار الشريفي العام، فلم أهتمّ به ذلك الاهتمام، وقد أرجات الإشارة إليه إلى مواضعه من البحوث القادمة ـ إن وُفّقت إلى ذلك بحول الله وقوّته ـ وأهدف من هذا أن تكون لدى القارىء الكريم صورة واضحة المعالم للدكتور وآرائه حول الشريف تسبق البحث عن المقصورة وما قاله فيها وفي حذفها، تماثل الصورة التي تكوّنت في نفسي عنه. وأنا أعتذر إليه وإلى كلّ من يجد في بحوثي هذه شيئاً لا يقرّني عليه، وعذري في ذلك أنّي لم أُرد الإساءة إلى أحد، وما حصل، إنْ حصل فهو أمر لم يكن بمقدوري التجنّب عنه، وأنا أؤكّد للدكتور ولهولاء أنّ الاستياء النفسي الذي احمله في نفسي حول صنيع الدكتور لايعادله أي أثر سيّء قد يتركه كلامي في نفسه أو في نفوس هولاء! (ولكن البادىء أظلم) ـ إنْ كنت ظلمت أحداً!

ـ ١ ـ
نادرة الشريف (عُمَريّة) أم (عَمْريّة)!

هناك نادرة تذكر في سيرة الشريف الرضي وقعت له عندما حضر، وهو طفل صغير لم يبلغ العاشرة، عند أحد أساتذة العربية والأدب يومذاك ، أصبحت فيما بعد من أشهر النوادر العلمية التي تذكر للتدليل على حدة الذكاء، وسرعة الخاطر، خاصة في فترة من العمر، الذي يكون تملّك مثل هذا الذكاء وحدّة الخاطر فيها يبعث إعجاباً أكثر وأكبر، ويكشف عن عبقرية مبكرة يقلّ لها النظير، والقصة كما يلي:

قال ابن خلّكان عندما ترجم للشريف الرضي: «وذكر أبوالفتح ابن جنّي النحوي في بعض مجاميعه: أنّ الشريف الرضي احضر إلى ابن السيرافي النحوي، وهو طفل جدّاً، لم يبلغ عمره عشر سنين، فَلَقّنه النحو، وقعد معه يوماً في حلقته، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم، فقال له: إذا قلنا: (رأيت عُمَرَ) فما علامة النصب في عمر؟ فقال له الرضي: بغض عليّ! فعجب السيرافي

www.noormags.ir

والحاضرون من حدّة خاطره»[١].

ولكنّ الدكتور الحلو ذكر القصة، وجاء فيه: «...إذا قلنا: رأيت عمرو، فما علامة النصب في عمرو...) وقال في الهامش:

هكذا ذكر ابن خلّكان: ٤١٦/٤ [وواضح أنّه يشير إلى نفس طبعه الدكتور احسان عباس] وهو أقدم من ذكر القصة [وسيأتي أنّ الأقدم منه هو القفطي -فيما وصلنا- ولعلّ هناك من هو أقدم منهما، ولم يصلنا أولم نعثر عليه] على أنّ المراد «عمروبن العاص» وقد اعتاد النحويون التمثيل بزيد وعمرو، وتبعه على هذا ابن الوردي في تاريخه: ٦٢٧/١، وأكّد أنّ المراد عمروبن العاص بقوله: (أشار إلى عمرو بن العاص وبغضه لعلي). كما زاد هذا القول توثيقاً أبوالفداء في تاريخه: ١٤٥/١ حيث أورد القصة، وعقّب عليها بقوله: «أراد السيرافي النصب الذي هو الإعراب، وأراد الرضي الذي هو بغض عليّ، فأشار إلى عمرو بن العاص». وأورد ابن حجر القصة في لسان الميزان: ١٤١/٥، كما أوردها ابن خلّكان، واللفظ فيه (عمرو)، أمّا الصفدي في الوافي بالوفيات: ٣٧٥/٢، وابن العماد في شذرات الذهب: ١٨٢/٣، والخوانساري في روضات الجنات/٥٤٧، وابن معصوم في الدرجات الرفيعة/٤٦٨ فقد جاءت اللفظة لديهم: (عُمَر) على أنّ المراد عمر بن الخطاب (...) وربّما كان هذا خطأ في النسخ أو الطباعة، وربّما كان وهماً سبق إلى الأذهان للنكتة اللغوية في منع صرف الكلمة. ولو كانت اللفظة صواباً لم يكن جواب الرضي سديداً [؟!] لأنّ شيعة عليّ (...) إنّما يذكرون بغض عمرو بن العاص له [وأمّا خصوم علي، فهم لا يذكرون إلّا ولاء ابن النابغة، وصاحبه ابن هند له، واتّباعهما وتسليمهما لأمره!] ولم يذكر أحد [لا ولا إعلام صدّام الذي تولّى نشر الديوان للدكتور!] أن قامت بين عمر وعلي (...) مثل هذه البغضاء التي استمرّت تُذكر على مدى الأيام [؟!][٢].

---

(١) وفيات الأعيان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بلا تاريخ، ٤١٦/٤.

(٢) ديوان الشريف الرضي، تحقيق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، ١٩٧٧، ٨٠/١.

www.noormags.ir

وتعليقي على ما ذكره الدكتور الحلو:

أوّلاً: إنّ الطبعة التي رجع إليها الدكتور من (وفيات الأعيان) جاء فيها (عمر) و(عمر) في الموضعين، ولم أجد تصويباً لما جاء في هذه الطبعة، لا في هذا الجزء ولا فيما بعده من الأجزاء، وقد رجعت إلى المؤاخذات التي أخذها الدكتور علي جواد الطاهر على هذه الطبعة من وفيات الأعيان فلم أر له ملاحظة هنا (٣).

وقد ذكر الدكتور إحسان عباس في مدخل الجزء الرابع النسخ الكثيرة التي اعتمد عليها في تحقيق هذا الجزء، وصنيعه يدلّ على أنّه لم يجد، ولا في واحدة منها ما يخالف ما أثبته في طبعته.

وهكذا جاء في الطبعة الحجرية للوفيات -طهران، ١٢٨٤، ١٠٧/٢- وببالي أنّ الدكتور مصطفى جواد -على ما قرأت له منذ زمن قديم- كان يرى أنّ هذه الطبعة الحجرية هي أصحّ طبعات الوفيّات. نعم جاء في ط بولاق، ١٢٩٩، ٣/٢، وط مكتبة النهضة المصرية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، ١٩٤٨/١٣٦٧، ٤٥/٤ -والمأخوذة عن طبعة بولاق- (عمرو) بدل (عمر)، ولكن الدكتور لم يتخذ أيّاً من هذه الطبعات مرجعاً له سوى طبعة إحسان عباس.

والذين ذكرو (عمر) ولم (يُعَمِّروُه)إهم: عدا القفطي الذي سنذكره فيما بعد، الذهبي ، العبر: ٩٥/٣، الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣٧٥/٢، اليافعي، مرآة الجنان: ١٩/٣، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ١٨٢/٣، مجالس المؤمنين: ٥٠٥/١، عن ابن خلكان واليافعي، والدرجات الرفيعة: ٤٦٨، وقد تناقض النقل فيه، ففي الأول (عمراً) وفي الثاني: (عمر) -ولم ينتبه الدكتور الحلو إلى هذا التناقض-، وروضات الجنات، ١٩١/٦، ١٩٣- بالإضافة إلى الطبعة الحجرية التي أشار إليها الدكتور- مستدرك الوسائل: ٥١٤/٣، معجم رجال الحديث: ٢٧/١٦ عن ابن خلكان.

وأمّا الذين ذكروا (عمراً) فالأصل هو أبو الفداء، وابن الوردي قد أخذ تاريخه وحكاه بتلخيص، وأضاف إليه مالم يدركه عصره ، (راجع ابن الوردي،

(٣) راجع: ملاحظات على وفيات الأعيان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٧/١٩٧٧/٥١-٦٣.

www.noormags.ir

١٠٩/١) ولسان الميزان، ويضاف إليهم رياض العلماء: ٨٣/٥، وهذا بنفسه دليل آخر على صحّة ما جاء في الطبعة الحجرية وطبعة إحسان، وأنّ ما جاء مخالفاً، إنّما حُرّف لغرض لا يخفى أو صُحّف!

وثانياً: أنّ جمال الدين، علي بن يوسف القِفْطي (٥٦٨/١١٧٢-٦٤٦/١٢٤٨) يروي القصة كما يلي:

«وكان الرضيّ من أهل الفضل والأدب، والعلم، والذكاء، وحدّة الخاطر من صغره. ذكره أبوالفتح بن جنّي في مَجموع له جمعه، وذكر في بعض مجاميعه: أنّ هذا المجموع سُرق منه في طريق فارس، وتأوّه عليه كثيراً، ومات وهو عادمٌ له. ثمّ إنّ هذا المجموع حصل في بعض وقوف مدينة أصفهان، ولمّا توجّه إليها سعيد بن الدهّان [سعيد بن المبارك بن علي، ابن الدّهان البغدادي (٤٩٤/١١٠١-٥٦٩/١١٧٤) أحد علماء اللغة والأدب] وجد المجموع المذكور، فنقل منه مجلّداً واحداً، ولم أر سواه بخطّ سعيد المذكور. ذكر فيه أبوالفتح بن جنّي: أنّ الرضيّ أُحْضِر إلى ابن السيرافي، وهو طفل صغير جداً، لم يبلغ عمره عشر سنين، فلقّنه النحو، وقعد معه يوماً في الحلقة، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم، فقال له: إذا قلنا: (رأيتُ عمرَ) ما علامة النَّصْب في عمر؟ قال له الرضيّ: بُغْضُ عليّ! فعجب [ابن] (٤) السيرافي والحاضرون من حدّة خاطره».

وابن خلّكان، أحمد بن محمد الإربلي (٦٠٨/١٢١١-٦٨١/١٢٨٢) وإن أدرك عصر القفطي، إلّا أنّه يحكي عنه (ابن خلكان، ٤٧/٥) وخاصة عن كتابه (إنباه الرواة) (ابن خلّكان، ٦٤/٤، ١٢٩/٦، ١٩٢-١٩٣) فالقفطي يعدّ بمنزلة أحد شيوخ ابن خلّكان، وكتابه جعله أحد مصادر وفّياته، وأظنّ قوّياً أنّ ابن خلّكان لم ير مجموع ابن جنّي بنفسه، وإنّما اعتمد على القفطي وعن طريقه حكى القصة، وإن لم يصرّح به. وهو في حكاية القفطي (عمر) في الموضعين، ولم يشر المحقّقون في الهامش إلى اختلاف في النسخ.

وثالثاً: إنّ التمثيل في هذه النادرة إنّما وقع من جهة الإعراب وعلاماته

(٤) هكذا جاء في المطبوع من الإنباه، إنباه الرواة، ١١٤/٣.

www.noormags.ir

التي تظهر في النطق، كما هو المدلول الواضح لكلمة (قلنا) الواردة فيها، لا من جهة إملاء الكلمة وكيفيّة كتابتها، ولفظة (عمرو) لا تختلف نُطْقاً عن سائر الألفاظ المعربة المنصرفة، في أنّها تظهر عليها حركات الإعراب، رفعاً ونصباً وجرّاً، فليس في اختيار التمثيل بها أيّة جهة يستدعيها امتحان الطالب واختبار ذكائه وتفهمه للقواعد النحوية، سوى معرفة أوليّات النحو، وأبسط مبادئه، وهي كيفيّة الرفع والنصب والجرّ، والشريف كان قد تجاوز هذه المرحلة، إذ ابن السيرافي كان قد لقّنه النحو، أي علّمه القواعد الأولية للنحو، ولم تقع النادرة ـ ومن الطبيعي أن لا تقع ـ في أول مجلس للتعليم، إذ الاختبار إنّما يكون بعد أن يكون الطالب قد تجاوز مرحلة يصحّ معها اختباره وامتحانه!

نعم، لوكان الامتحان لا في النحو، بل من جهة الإملاء وكيفية الكتابة لكان المناسب التمثيل بـ (عمرو) الذي زيد فيه (الواو) ظلماً في الهجاء ـ كما يقول الشاعر ـ ليمتاز كتابة لانطقاً عن (عمر)، ولكنّ هذا (الواو) يثبت في حالتي الرفع والجر، دون النصب، إذ لا يتنصب (عمر).

وصحيح أنّ النحويين اعتادوا التمثيل بزيد وعمرو، في فروضهم النحوية، ولكن ليس في مثل هذا المورد! ولكنّ النحويين جرت عادتهم أيضاً على تقديم (زيد) على (عمرو) فإذا أرادوا التمثيل بأحدهما اختاروا زيداً، فقالوا: (قام زيد) وإذا احتاجوا إليهما معاً قدّموا زيداً وقالوا: (ضرب زيد عَمْراً)!

ورابعاً: إنّ لفظة (عمرو) حكاها الدكتور عارية عن الإعراب، وهي منصوبة، وملحقاً بها (الواو)، وهذا خطأ لا يصدر من متعلّم، فكيف من عالم نحوي! والصحيح حذف (الواو) وإدخال الإعراب، بأن يقال: (رأيت عَمْراً) لا: (رأيتُ عمرو) وقد جاءت عند أبي الفداء وابن الوردي (رأيت عمراً)، وقد رجع إليهما الدكتور نفسه، فما الذي أوجب غفلته ـ وهو العالم الأديب ـ عن هذه الملاحظة، ولست أسمح لنفسي بأن أنسبه إلى التغافل كي يصحّ له ما قال! نعم جاءت في طبعتي بولاق، ومحمد محيي الدين عبدالحميد كما ذكرها الدكتور، إلّا أنّ الدكتور لم يعتمد عليهما، بل ولم أجد ما يدلّ على رجوعه إليهما، ومهما يكن فعذر

www.noormags.ir

الكلّ: أنّ (الواو) هنا زيدت ظلماً لعليّ لا لعمرو!

وخامساً: إنّ قول الدكتور: (ولو كانت اللفظة صواباً لم يكن جواب الرضي سديداً...) لا أدري كيف أُبرّره، وكيف سمحت نفس الدكتور بأن يقوله! فليس خصومة علي، ومعاوية، وأخيه عمرو بالتي يذكرها الشيعة وحدهم، وليست حرب صفّين ومضاعفاتها بالتي أرّخها الشيعة وحدهم! نعم خصومة من مكّن معاوية من رقاب المسلمين، ومن أشاد له حكمه بالشام لا أقول حولها شيئاً... ويكفي في التعرّف على رأي الشريفين الرضي وأخيه المرتضى، ورأي الشيعة الإمامية ما يحكيه أبوالقاسم بن برهان الحنبلي أولاً، ثمّ الحنفي، وهو ما سمعه من الشريف المرتضى في آخر لحظات حياته (٥).

نعم إنّ إعلام حكومة صدّام، وما يؤلف لهذا الإعلام لا تريد أنْ يذكر ذلك أحد! بل لا تريد أن يذكر ذاكر سيّد الشهداء - عليه السلام - ومن علّم الأُباة الحميّة والإباء! وبلغ بها السعي في الوصل إلى غايتها هذه أنّها لا تريد أن يقرأ أحد مقصورة الشريف الرضي الشهيرة:

كربلا لا زِلْتِ كرباً وبلا!

فتحذفها من طبعتها لديوان الشريف ثمّ تضع المعاذير لذلك - ومعذرة من الدكتور، فإنّي لا أرى هذا صنيعه، بُل صنيعها -!

-٢-

من هو ابن السيرافي هذا؟

والسيرافيان اللّذان عاصرهما الشريف، هما:

(الأب): الحسن بن عبدالله بن المرزبان، أبوسعيد السيرافي، ثمّ البغدادي، المعتزلي، الحنفي (٢٨٤/٨٩٧-٣٦٨/٩٧٩) أحد أعلام العلم والأدب واللغة.

---

(٥) راجع المنتظم: ٢٦/٨، ابن كثير: ٥٣/١٢، معجم الأُدباء: ١٧٦/٥، و قارن بما جاء محرّفاً مبتوراً عند ابن حجر في لسان الميزان، ٢٢٤/٤.

www.noormags.ir

كان أبوه مجوسياً اسمه (بهزاد) فأسلم وسمّاه أبوسعيد (عبدالله). ولد أبو سعيد بسيراف، وفيها نشأ، ثمّ هاجر إلى بغداد فسكنها حتّى توفي عن أربع وثمانين سنة، كان يدرس ـ كما قال عنه المترجمون له ـ القرآن، وعلومه، والقراءات، والنحو، واللغة، والفقه، والفرائض والكلام، والشعر، والعروض، والحساب، وكان من أعلم الناس بنحو البصريّين، معتزليّ العقيدة، حنفيّ المذهب، ولي قضاء بغداد وكان نزيهاً، عفيفاً، جميل الأمر، حسن الأخلاق، لم يأكل إلّا من كسب يده، ينسخ ويأكل منه، حتى أيام قضائه، وله كتب كثيرة في القراءات، والنحو، وغيرها (٦).

و(الإبن): يوسف بن الحسن، أبومحمد، ابن السيرافي، البغدادي (٣٣٠/٩٤١ـ٣٨٥/٩٩٥) وكان عالماً بالنحو، والأدب، واللغة، أخذ عن والده، فخلفه في جميع علومه، وتصدّر مجلسه بعد موته، وأكمل كتبه التي مات ولم يكملها، وألّف كتباً عدة، وكان يرجع إلى علم ودين، رأساً في العربية (٧).

فأيّهما الذي حضر عليه الشريف؟

يقول الدكتور الحلو أنّه الأب، أبوسعيد نفسه، لا ابنه أبومحمد، ابن السيرافي (٨) ثمّ يتناوله بتفصيل أكثر فيقول:

ويرى الدكتور إحسان عباس أنّه: (ربّما كان من الوهم أن نعدّ أباسعيد السيرافي واحداً من أساتذة الرضيّ (...) لأنّ السيرافي أباسعيد توفّي وعمر الرضيّ يقلّ عن ثمان سنوات (...) وابن السيرافي المشار إليه ـ فيما أعتقد هو: ابن أبي سعيد يوسف وقد توفي (...) ورثاه الرضي (...) وقد خلف يوسف أباه في علومه) (٩) وقد ردّ الأُستاذ محمد عبد الغني حسن هذا الرأي، وقال: إنّه (لاحاجة

(٦) تاريخ بغداد: ٧/٣٤١ـ٣٤٢، (ابن) النديم /٦٨، المنتظم: ٧/٩٥، الأنساب: ٧/٣٣٩ـ٣٤٠، إنباه الرواة: ١/٣١٣ـ٣١٥، ابن خلّكان: ٢/٧٨ـ٧٩، ياقوت: ٣/٨٤ـ١٢٥، سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٤٧ـ٢٤٨ ومصادر كثيرة أُخرى.

(٧) المنتظم: ٧/١٨٧، إنباه الرواه: ٤/٦١ـ٦٣، ياقوت: ٧/٣٠٧، ابن خلّكان: ٧/٧٢ـ٧٤، سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٤٨ـ٢٤٩، وغيرها.

(٨) ديوان الشريف الرضي: ١/٨٢.

(٩) الدكتور إحسان عباس، الشريف الرضي/٣٩ـ٤٠.

www.noormags.ir

للإنكار، ولا موضع للغرابة، لأنّ الشريف كان شديدالذكاء، وإذا ذهبنا مع الدكتور إحسان عباس إلى أنّ المراد هو ابن أبي سعيد السيرافي، لا أبوسعيد نفسه، فهل يحلّ هذه القضية وينفي تعلّمه النحو، وهو دون العاشرة؟!)[١٠].

ولست أرى مجالاً للخلاف في هذه القضية، فإنّ ابن جنّي يذكر أنّ الرضيّ أُحضر إلى مجلس ابن السيرافي، وواضح أنّ المراد هنا أبوسعيد، لاولده، فهو الذي كان صاحب المجلس وأُستاذاً لابن جنّي، وكان ابن جنّي يتلقّى عنه، فهو شاهد عيان، ولم تذكر الرواية أنّ الرضيّ قرأ عليه شيئاً، وإنّما لقّنه النحو في جملة من يلقّن من حضور الحلقة، ثمّ ذاكره بشيء من الإعراب ليختبر تقدّمه، وقد كان يوسف ولده يفيد الطلبة في حياة أبيه ـ كما يذكر ابن خلّكان ـ ولعلّه كان يعنى بالمبتدئين في العلم من حضور حلقة والده كالرضيّ.

فالرضيّ إذاً حضر حلقة أبي سعيد، وهو صاحب القصّة معه، وهذا لا يدفع أنّه ربّما استفاد من علم ولده يوسف الذي كان يفيد الطلبة في حياة أبيه، وإن كان لا يشعر نحوه بما يشعر به الطالب نحو أُستاذه، فقصيدته في رثائه لا تدلّ على أنّه يرثي أُستاذاً له، ولم يقلها الرضيّ فيه إلّا ليحافظ على ما ضيّعه الناس من الوفاء (...) وما هكذا يفعل الرضيّ في رثاء أساتذته (...)[١١].

وقد سبقه إلى عدّ أبي سعيد السيرافي نفسه أُستاذاً للشريف، شيخنا العلامة الأميني في الغدير: ١٨٣/٤، وسبقهما السيد الخوانساري في روضات الجنات في ترجمة (أبي سعيد السيرافي): ٧٣/٣، عندما ذكر تلك النادرة التي تقدّمت، وأضاف: (ولمّا سمع بذلك أبوه فرح بذلك، وقال له: أنت ابني حقاً). ثمّ ذكر: أنّ الثعالبي ذكر في ترجمة الشريف: أنّه له في أبي سعيد مرثية ـ وذكر ثلاثة أبيات منها ـ ثمّ ترجم لابنه يوسف، وتبعه في هذا الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب: ٣٤٠/٢ ولا أدري كيف وقع له مثل هذا مع أنّ

---

(١٠) محمد عبد الغني حسن، الشريف الرضي/٢٤.

(١١) الشريف الرضي، الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٣٩٦/١٩٧٦/١٠٤-١٠٦، وهي مكتوبة بالآلة الطابعة.

www.noormags.ir

الثعالبي يصرّح بأنّ المرثي هو أبومحمد بن أبي سعيد [١٢] وهكذا صدرت القصيدة في ديوان الشريف [١٣] والإضافه التي جاءت في حكاية الخوانساري حكاها الشريف القاضي التستري في مجالس المؤمنين: ٥٠٥/١ عن (تذكرة ابن عراق) ولم أتعرّف عليه الآن!

وهذه إحدى المشكلتين. وهناك مشكلة أُخرى، وهي أنّ الشريف قد ذكر من قرأ عليهم وهم:

١- علي بن عيسى بن الفرج، أبوالحسن الرَّبَعي، الشيرازي، ثمّ البغدادي (٣٢٨/٩٤٠-٤٢٠/١٠٢٩) وتوفّي الشريف، والرَّبعيُّ كان لا يزال حياً.

٢- أبوالفتح عثمان بن جنّي، الَمْوصلي، ثمّ البغدادي (ح ٣٢٧/٩٣٩-٣٩٢/١٠٠٢).

وقال الشريف نفسه: (وقال لي شيخنا أبوالحسن علي بن عيسى النحوي، صاحب أبي علي الفارسي، وهذا الشيخ كنت بدأت بقراءة النحو عليه قبل شيخنا أبي الفتح عثمان بن جنّي، فقرأت عليه (مختصر الجرمي) وقطعة من (كتاب الإيضاح) لأبي عليّ الفارسي، و(مقدّمة) أملاها عليّ كالمدخل إلى النحو...) [١٤].

ووجه المشكلة أنّ الشريف إن كان قد قرأ على السيرافي، الأب، أو الإبن، أيّاً كان، فلماذا لم يشر إليه؟

وقال شيخنا النوري: (وظاهره أنّه لم يقرأ على السيرافي، وإلّا لأشار إليه، مع أنّه عند وفاة السيرافي [الأب، وهكذا فسّره بالأب] كان ابن تسع سنين، كما يظهر من تاريخ ولادة الأول ووفاة الثاني) ثمّ حكى ما حكاه ابن خلّكان، فقال: (وفي قوله: فَلَقَّنه النحو مسامحة) [١٥].

---

(١٢) يتيمة الدهر: ١٤٩/٣.

(١٣) ط. بيروت: ٤٩٠/١-٤٩١.

(١٤) حقائق التأو يل: ٨٧-٨٨.

(١٥) مستدرك الوسائل: ٥١٤/٣.

www.noormags.ir

والذي أراه في حلّ المشكلة الأُولى التأكيد على مدلول (ابن) السيرافي! فإنّ إضافة (ابن) إنّما جيء بها للتعريف، والتعريف بالإضافة إلى الأب (السيرافي) لا يصحّ إلّا إذا كان الأب قد بلغ من الشهرة المبلغ الذي يعدّ أشهر من يحمل العنوان، فيعرف به من يضاف إليه(إبناً) كان أو (أخاً) أو غيرهما، وهذا يعني: أنّ المشتهر يومذاك بالسيرافي كان هو الأب، لا الابن الذي حضر الشريف مجلسه، وهذا لا يصحّ إلّا إذا كان الأب أبوسعيد السيرافي نفسه، لا أبوه بهزاد المجوسي الذي عاش في سيراف، والذي أسلم وسمّاه ابنه عبدالله، عاش مغموراً ومات مغموراً، ولو لم يبلغ ابنه أبوسعيد ما بلغه لم يسمع بذكره أحد. وبهذا يكون الذي حضر عنده الشريف ابن أبي سعيد السيرافي أبا محمد، لا هو نفسه. وليست المشكلة تدور حول قصرالسنّ أوقلة الذكاء، فإنّه لا مناقشة في شدّة ذكاء الشريف وحدّة فطنته،وقصر سنّه لم يمنعه من الحضور على الشيخ المفيد ــ كما سيأتي ــ وسيأتي أنّ عمره كان يومذاك في حدود السادسة.

ولم أجد فيما أملك من المصادر قراءة ابن جنّي على أبي سعيد السيرافي، وإنّما الذي تتفق المصادر كلّها عليه أنّه قرأ على أبي علي الفارسي، في صحبة دامت أربعين سنة، صحبه في أسفاره، وخلا به في مقامه (١٦)، ويذكر ابن ماكولا أنّ ابن جنّي (سمع جماعة من المواصلة والبغداديين)(١٧)، إلاّ أنّ أحداً لم يذكر أنّه كان فيهم أبوسعيد السيرافي.

ولا نملك أيّ حجّة تدلّنا على قراءة الشريف على السيرافي، سواء أكان الأب أم الإبن، سوى ما تدلّ عليه هذه النادرة، وهي لا تدلّ إلّا على أنّه حضر مجلس الإبن دون الأب، وبهذا لا أجد أيّ مبرّر لما احتاط الدكتور الحلو في رأيه حينما ارتأى أنّ الشريف قرأ على الأب، وأضاف: (وهذا لا يدفع أنّه ربما استفاد من علم ولده يوسف).

---

(١٦) إنباه الرواة: ٣٣٦/٢، ياقوت: ١٨/٥-١٩، ابن خلّكان: ٢٤٦/٣ البلغة في تاريخ أئمة اللغة/١٣٧، نزهة الألباء/٣١٥، ٣٣٣، سير أعلام النبلاء: ٣٨٠/١٦، ١٨/١٧، بغية الوعاة: ١٣٢/٢، روضات الجنات، ١٧٦/٥، ١٧٧، ١٨٠.

(١٧) الإكمال: ٢٨٥/٢، الأنساب: ٣٦١/٣.

www.noormags.ir

ولا يلزم أن تكون القراءة على الإبن أنّها كانت بعد وفاه الأب بل أرجح أنّها وقعت في حياة الأب، وفيما يقرب من تأريخ حضوره على شيخنا المفيد ـ كما سيأتي ـ وإنّما اختير له الإبن (وكان يفيد الطلبة في حياة أبيه)[١٨]، أنّ الأب يومذاك كان قد بلغ من العمر عتياً، ومن الشخصية العلمية ما ارتفع بها عن الاشتغال بمبادىء النحو والعربية، وتلقين الصغار تلك المبادىء، دون الإبن وخاصة في حياة الأب، وهو بعد لم يشغل مجلس أبيه.

والذي كان من ابن السيرافي أنّه لقّن الشريف النحو، ويقصد منه التعليم الشفهي، والتحفيظ وتقويم اللسان، ولا تدلّ القصة على أنّ الشريف قرأ عليه شيئاً من الكتب الموضوعة في النحو، لا صغيرها ولا كبيرها، بل وانّ (مختصر الجرمي) وما كان كالمدخل إلى النحو قرأهما على الربعيّ فيما بعد.

ولعلّ لهذه الجهة، ولأنّ التلقين انتهى بتلك النادرة سبب ذلك انقطاع الشريف عن أبي محمد السيرافي، بعد أن لقّنه أوّليات النحو.

وأرى أنّ ما ذكرته كاف لتعليل تلك الظاهرة التي أشار إليها الدكتور الحلو، والتي تبدو من رثاء الشريف لأبي محمد السيرافي، وأظنّ قوياً أنّ موقف أبي محمد السيرافي من نادرة الشريف كان موقف غضب وامتعاض، ولم يكن يومذاك بعد، قد أبدل (عمر) بـ (عمرو) كي تخفّ الوطأة (ويسهل ابتلاع النادرة) ـ كما يقولون ـ ولعلّ ذلك الموقف، أو ما تعقبه من ملاحظات وتعليقات خلف ذلك كلّه في نفس التلميذ الصغير وخاصّة إنْ كان بمثل الشريف الرضيّ آثار سوء ظلّت حيّة، حتّى وبعد أنْ مات أبومحمد.

وأرى أيضاً أنّ هذا كاف لتفسير تغافل الشريف عن الأيام المعدودات التي حضر فيها عند ابن السيرافي، وعدم الاهتمام بتلك الأيام وتغافلها، عندما ذكر الشريف من قرأ عليه النحو والأدب.

* * *

(١٨) إنباه الرواة: ٦١/٤، ابن خلّكان: ٧٢/٧، اليافعي: ٤٢٩/٢-٤٣٠.

www.noormags.ir

-٣-

المقصورة الحسينية:

إنّ مقصورة الشريف الرضي: (كربلا لازِلْتِ كرباً وبلا) لأشهر ما نظمه على الإطلاق، فإن كان شعره على كثرته، وسعة أغراضه، وسموّ معانيه، ورفعة منزلته الأدبية، معروفاً عند الأُدباء، معنيّين بها، فإنّ مقصورته تداولتها الأجيال الواسعة قراءة وسماعاً منذ عصره إلى عصرنا الحاضر، بل وانّ الكثير منهم قرؤوها أو سمعوها وإن لم يعرفوا القائل.

وكانت الأُمويّة التقليدية لها مجالها الضيق، وامكاناتها المحدودة، ونشاطها الخاص الدائر في فلك مجالها وإمكاناتها، فلم تصل يدها الأثيمة إلى المقصورة ولم تمسها بسوء، إلى أن ابتلينا بالاموية الحديثة وما ملكته من أسباب وأدوات، وما عُلِّمَتْه من أساليب وطرق، لم يكن يملك هذا كلّه سلفها غير الصالح ـ ولا حاجة إلى ذكر العوامل والأيدي والجهات التي مكّنتها من ذلك ـ وليست الأُموية، قديماً وحديثاً، نسباً أو عرقاً ـ وإن تسترت بالنسب أو العرق ـ وإنّما هي نزعة تتواجد أينما تواجد الباطل، وخاصة أنّها وجدت في السلفية الجاهلية (حليفاً طبيعياً) لها! والأصحّ أن نقول: إنّ كلاً منهما وجدت في صاحبتها حليفاً طبيعياً لها، بعد ما اتّفقت أهدافهما، ومن الطبيعي حينئذ أن ينسجم ويتوحّد نشاطهما، وأن يعضد كلّ منهما الأُخرى، والأُموية الحديثة ـ لعوامل خارجة عن مجال بحثنا ذكرها ـ أصحبت ـ مع الأسف الشديد ـ الفئة الحاكمة في العراق، ومن هنا ارتبطت بالحسين عليه السلام وكربلائه وعاشورائه ومآتمه، فارتبطت بالشريف الرضي ومقصورته.

وأقولها بصراحة: إنّي وإن كنت هنا أُناقش ما ذكره الدكتور الحلو حول المقصورة، وما عمله من حذفها من ديوان الشريف الرضيّ ـ الأمر الذي لا أعذره عليه بأيّ حال ـ لا أُخاصم الدكتور نفسه، فإنّي وجدته قد تجنّب هذا البحث في الكتاب الذي ألّفه حول الشريف الرضي ـ وتحت تصرّفي نسخة منه كتبت

www.noormags.ir

بالطابعة وقد أشرت إليه من قبل ـ ولهذا مدلوله الخاص عندي، وألف لعنة ولعنة على الظروف التي يعيشها أمثال الدكتور ـ وما أكثرهم في كلّ بلد وعصر ـ والتي اضطرّت الدكتور الحلو سعياً وراء لقمة العيش ـ أن يستجيب لرغبات الأُموية وإعلامها الصدامي فيكتب ما كتب ويصنع ما صنع! وإلّا فإنّ ما لمسته من خلق الدكتور، وأدبه وعفافه، أُسلوباً وتعبيراً، وميله إلى الإنصاف، إنصاف نفسه، وإنصاف خصمه على سواء، فيما قرأت له ـ وذلك مالم ألمسه في كثير من نظرائه وأقرانه ليتناقض وموقفه هذا! ولا أجد له تفسيراً أُقنع به نفسي، إلّا ما ذكرت.

ومهما يمكن فإنّ ما قاله الدكتور الحلو حول المقصورة يرجع إلى مصدرين:

١ـ ما وجده من التعاليق حول المقصورة في بعض مخطوطات الديوان التي استعرض الكثير منها ووصفه في تصديره للديوان.

٢ـ ما ارتآه هو، وإن كان من الطبيعي أنّه كان بوحي من تلك التعاليق.

فقد حكى الدكتور (التصدير/١٦٤) أنّه جاء في الأصل و(ك) (يقال: أنّها آخر ما قاله من الشعر، وأنّها ربّما كانت منحولة) ويقصد بالأصل: مخطوطة دارالكتب المصرية وهي انتساخ لديوان الشريف الرضي صَنْعة أبي حكيم الخَبْري، وقد وصفها الدكتور في التصدير/١٣١ـ١٣٣، ومن (ك): نسخه كوبر يلي (التصدير/١٤٧ـ١٤٨)، وجاء في (س): (لم توجد في ديوانه، بل هي منحولة، لكونها ليّنة لا تشبه شعره، وهو الصحيح) و(س) رمز لمخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس (التصدير/١٥٧ـ١٥٨) وجاء في هامش (ي): (إنّ هذه القصيدة لا يمكن أنْ تكون من شعره، وإنّما دسّها عليه أغتام الإمامية، لما فيها من العقائد، والليونة التي لا تلائم نَفس الشريف) وعلّق الدكتور: (وواضح أنّ كاتب هذه الحاشية زيديّ يجتوي الإمامية) و(ي) رمز للنسخة اليمنية، وهي نسخة كتبها زيديّ، وتداولتها أيد زيدية كثيرة (التصدير/١٣٣ـ١٣٨).

ومن هذه التعاليق يظهر أنّ التشكيك، أو النفي يعتمد على أمرين:

١ـ أنّها ليّنة لا تشبه شعر الرضيّ.

www.noormags.ir

٢ـ ما فيها من العقائد (ويقصدون بها: التصريح بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام) التي لا يعتقد بها المعلّق فلم يستسغها للشريف!

يضاف إليها ثالث، وهو ما ارتآه الدكتور نفسه حول المقصورة، وأنّها تختلف عن منهج الشريف في حسينيّاته الأربع الأُخرى!

* * *

وقبل الدخول في مناقشة هذه النقاط الثلاثة لا بُدّ لي من أن أُقدّم تاريخاً موجزاً لهذه المقصورة، بل لشعر الشريف، وأنّه كيف جُمع، وما موقع المقصورة من ديوانه، وأكتفي هنا بما قاله الدكتور الحلو نفسه في التصدير، وملخصه:

إنّ شعر الشريف كان مجموعاً ـ بصورة أو بأُخرى ـ في حياته، وأنّه هو كان يتولّى ذلك بنفسه، وقد اهتمّ عدنان ابنه بشعر أبيه بعده، فأخرج من مسوداته أوراقاً قليلة نحو كراسة، زادها على شعر أبيه، ثمّ جاء أبو حكيم الخَبْري فأخذ هذه الكراسة، وضمّ إليها الأقطاع والأبيات التي وجدها، وصنع من ذلك كلّه باباً ألحقه بالديوان سمّاه باب الزيادات، وقد ذكر في خاتمه الباب أن ما اجتمع له أضعاف ما جمعه ابنه عدنان.

(وباب الزيادات الذي صنعه أبو حكيم الخَبْري يضمّ خمسة وثلاثين وتسعمائة بيت، زادها على صنعة الرضي لديوانه، وليس كلّ هذا الشعر من قبيل الأبيات المفردة، أو المقطوعة ذات البيتين، أو الثلاثة، أو الخمسة، وإنّما بعض هذا الشعر قصائد، منها قصيدته التي تضمّ الأبيات (٥٧٧ـ٦٠٧) وهي التي خاطب فيها سلطان الدولة وعرّض بذمّ أعدائه، ومنها قصيدته التي تضمّ الأبيات (١ـ٦٢) وهي في رثاء الحسين بن علي) (١٩) ولم يرقمها الدكتور متسلسلة لأنّه تفضّل فحذفها!

ولا بدّ من بعض التعريف بأبي حكيم الخَبْري هذا، فهو: أبو حَكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الخَبْري، البغدادي، الشافعي (ـ٤٧٦/١٠٨٤).

---

(١٩) التصدير/١٢٧ـ١٣٠.

www.noormags.ir

إمام الفرضيين، العلامة ـ كما يقول الذهبي وعامّة المترجمين له ـ كانت له معرفة تامة بالحساب والفرائض، وله معرفة بالأدب واللغة، وكان متمكّناً من علم العربيّة. تفقّه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، الفقيه الشافعي الشهير، وسمع الحديث الكثير من جماعة. وكان مرضي الطريقة، خيّراً، ديّناً صدوقاً، إنتهت إليه الإمامة في الفرائض، والأدب، وكان يكتب الخط الحسن، ويضبط الضبط الصحيح. شرح الحماسة، وديوان البحتري، والمتنبيّ، والرضيّ، وكان ينسخ المصحف الكريم، ومات وهو ينسخ مصحفاً، وكانت له بنتان، الكبرى رابعة، وأمّ الخير فاطمة، وكانتا من رواة الحديث والأدب. و(الخَبْري) نسبة إلى (خَبْر)، وكانت قرية بنواحي شيراز، بها قبر سعيد أخي الحسن بن أبي الحسن البصري، كان أصله منها (٢٠).

وقد عني بجمع ديوان الشريف الرضيّ جماعة، وأجود ما جمع الّذي جمعه أبو حَكِيم الخَبْري (٢١).

وممّا تقدّم يبدو بوضوح: أنّ الخَبْري لم يكن بالجاهل الذي لا يميّز الأصيل من المنحول، ولا بالغِرّ الذي ينخدع بقول هذا أو ذاك، ولا يتفق مع الشريف في المذهب أو العاطفة حتى ينساق مذهبياً أو عاطفياً، وهو عند المترجمين له ـ وكلّهم ممّن تثق بهم الأُموية، ويطمئنّ إليهم الإعلام الصدامي ـ من الثقة والصدق والأمانة في المحلّ الذي يأبى عن الكذب والافتعال، ولم يبعد به الزمن عن عصر الشريف، حتّى يحول بينهما عبث الأيام!

وأنا لا أملك صورة من الأصل الذي اعتمد عليه الدكتور، ولا النسخ التي جعلها مراجع لتحقيق الديوان، لكنّ اختلاف التعبير في تلك التعاليق من

---

(٢٠) المنتظم: ٩/٩٩ـ١٠٠، معجم الأدباء: ٤/٢٨٥، الإكمال: ٣/٥١، الأنساب ٥/٣٨ـ٤٠، اللباب: ١/٤١٨ـ٤١٩، معجم البلدان: ٢/٣٤٤، إنباه الرواة ٢/٩٨، سير أعلام النبلاء: ١٨/٥٥٨، ابن كثير: ١٢/١٥٣ ـ وقد أخطأ في تعيين سنة الوفاة، فذكر في غير محلّه ـ الاسنوي، طبقات الشافعية: ١/٤٧١ـ٤٧٢، ابن هداية الله، طبقات الشافعية/١٧٢ـ١٧٣، السبكي، طبقات الشافعية: ٥/٦٢ـ٦٣، بغية الوعاة: ٢/٢٩، شذرات الذهب: ٣/٣٥٣.

(٢١) إنباه الرواة: ٣/١١٥، ابن خلّكان: ٤/٤١٦، شذرات الذهب: ٣/١٨٣.

www.noormags.ir

جهة، واختلاف الحجة فيها من جهة أُخرى يدلّ على أنّها ليست من جامع الديوان (الخَبْري) نفسه، بل هي كلّها إمّا من النسّاخ أو القرّاء، لم يقلها الخَبْري، حتّى الذي جاء في الأصل ونسخة (ك) منها. ولم يفصح الدكتور الحلو: أنّ ما جاء في (الأصل) أو (ك) إنّما جاء في الهامش أم في المتن، كما أفصح فيما جاء في (ي)، وإن أحسنت الظنّ بالدكتور، أو بالإعلام الصدّامي، فأرى أنّ هذا الإبهام قد يكون متعمّداً مقصوداً، كي يوحي إلى القارىء أنّ التعليق إنّما هو من صلب الديوان! ولي ممّا تقدّم شواهد تؤكد لي حسن ظنّي هذا!

بل وإنّ كلام الدكتور نفسه عندما بحث حول الزيادات التي أفردها الخَبْري، وتساءل: فما الذي صرف الرضيّ عنها فلم يُذِعْها فيما أذاعه من شعره؟ ذكر أنّ الخَبْري قدّم توجيهاً لها، ومدلول ذلك: أنّ الخَبْري نفسه كان جازماً بصحة انتسابها إلى الرضي! وإن لم يقبل الدكتور بتوجيه الخَبْري في بعضها وفي المقدّمة المقصورة الحسينية! (التصدير/١٦٣-١٦٤) وهذا كلّه. يدلّنا دلالة قاطعة على أنّ هذه التعاليق ليستْ، ولا واحدة منها من الخَبْري نفسه!

ونعود إلى النقاط الثلاثة التي قلت أنّها هي الأساس للتشكيك أو النفي:

١- فالليونة التي قيل أنّها توجد في المقصورة بمالا يتناسب وشعر الشريف، فقد قال عنها الدكتور الحلو نفسه:

أمّا بناء القصيدة فإنّ وصف جميعه بالليونة **أمر مبالغٌ فيه، ولكنّ بعض** أبياتها ليّنٌ لا يُشْبه شعر الرضي-مثل قوله:

يا رسولَ الله يا فاطمةٌ ... يا أميرَ المؤمنينَ المرتضى
كيف لم يستعجل الله لهم ... بانقلاب الأرضِ أورجم السّما
لو بِسَبْطَيْ قَيْصَرٍ أوهِرَقْلٍ ... فَعَلُوا فِعْلَ يزيدٍ ماعدا

وقوله:

مَيّتٌ تبكي له فاطمةٌ ... وأبوها وعليٌّ ذوالعلا

www.noormags.ir

لـورسـول الله يَـحْـيَـا بـعـده قـعـد الـيـوم عـلـيـه لـلـعـزا (٢٢)

وأقول:

إنّ هؤلاء النُقّاد غفلوا ـأو تغافلوا عامدينـ عن أمر يختص به أدب الرثاء الحسينيّ، وهو: أنّ الرثاء الحسيني ينقسم إلى قسمين: رثاء فنّي أدبي، وهذا ما يشترك فيه الرثاء الحسينيّ وأي رثاء آخر ـ ورثاء مأتمي شعبي. ولكلّ منهما خصائصه وميّزاته، قد تجتمع وقد تفترق. وليست قصائد الشريف الأربع (٢٣) شعر المآتم، وإن كانت رثاء أدبياً! ومَنْ عاش المآتم الحسينيّة ـ ومع الأسف انّ الدكتور الحلو لم يعشها وإنْ حضرها لا أثق بأنّه ينفعل نفسيّاً بها، والسر واضح ـ علم أنّ شعر المآتم لابد وأن يكون شعراً وصفياً مأساوياً، يصف المأساة وصفاً شعرياً يمزج الحقيقة بالعاطفة، والواقع بالإحساس النفسيّ، كي يكسب في نفوس السامعين ـ وهم عامّة الناس، أي مختلف طبقاتهم، الأُدباء وغير الأُدباء، وذو الثقافة العالية، والسواد الأعظم ـ الرقة والخشوع، ويستدرّ منهم الدموع، بل وأكثر من الدموع! ولا تكفي هنا الإشارة العابرة، والكناية الأدبيّة، واللغة الفنيّة.

ويكفي في هذا الرجوع إلى «الدرّ النضيد» تأليف سيدنا الأمين، رحمه الله، وإلى المقاطع التي حشّى بها الشيخ ابن شهر آشوب كتابه (مناقب آل أبي طالب) والتي هي نماذج لأدب الرثاء يومذاك، ومنها مقصورة الشريف، دون غيرها من حسينيّاته.

ومن هذا أقول بكلّ تأكيد: إنّ الشريف لم ينظم حسينيّاته الأربع تلك كي تُقرأ في المآتم، وينوح بها النائحون والنائحات، وهو من أعلم النّاس بشعر المآتم، شعر دعبل، والعونيّ، والناشيء، وأضرابهم ممّا كان يناح به يومذاك، نعم، إنّ مقصورته تمتاز عنها بأنّه قالها في كربلاء ويوم عاشوراء، وقالها ارتجالاً، ومن المحتمل الراجح أنّه قالها وهو يحضر المآتم هناك، وفي ذلك اليوم، ولا يمكن

---

(٢٢) التصدير/ ١٧١-١٧٢.

(٢٣) راجع (الأولى) الديوان ـ ط بيروت ١/٢٧٨-٢٨١، و(الثانية) ١/٢٨١-٢٨٣، و(الثالثة) ١/٣٧٦-٣٧٨، و(الرابعة) ٢/٦٥٨-٦٦١، وقارن بالمقصورة وهي في ط بيروت، ١/٣٣، ٣٦.

www.noormags.ir

لأحد أن يلمس جوّ كربلاء، وجوّ عاشوراء، وجوّهما معاً إن اتفقا، وجوّ المأتم الحسينيّ، وخاصّة إن كان يوم عاشوراء، وفي كربلاء، في الحائر الحسنيّ، إلّا إذا كان شيعيّاً حسينيّاً، وخاصّة إن كان علوياً ـ نسباً وروحاً ـ كالشريف! فمقصورة الشريف شعر المآتم هناك، يومذاك، لاشعر المهرجانات أو المباريات الأدبيّة! شعر البكاء والدموع، لاشعر الإعجاب الأدبيّ، والمقدرة الفنيّة، شعر النوح واللطم، لاشعر (أُمسيات الشعر)!

وهذا هو الفارق الأساس بين روح المقصورة وبين طابع حسينيّاته الأُخرى، فطابعها أدبيّ فنيّ، وطابع المقصورة حسينيّ، وهي فنّ شعري، والمقصورة ولاء حسيني، كربلائي عاشورائي!

وسمّ هذا ماشئت! سمّه ليونة، أو سمّه مطابقة لمقتضى الحال!

والحق أقول: إنّ الشريف وُفّقَ في مقصورته هذه قدر ما وُفّقَ في حسينيّاته تلك، بل ولعلّه برز في المقصورة مالم يبرز في غيرها!

وبعد، فالقصيدة التي تبلغ اثنين وستّين بيتاً، إن وجد فيها أبيات معدودة لم ترتفع إلى المستوى العام للقصيدة نفسها، أم لم تبلغ المستوى العام لشعر شاعرنا، متى كان هذا دليلاً يُعتمد عليه على نفي القصيدة وحذفها بتمامها، إلّا بالنسبة إلى الرضي، وفي مقصورته الحسينيّة خاصّة، وعند الإعلام الصدامي!!.

فمَنْ من الشعراء، من تقدّم على الشريف منهم، من جاهليين، ومخضرمين، وإسلاميين، من أُمويين أو عباسيين، أو الذين عاصروه أو جاءوا بعده، وإلى عصرنا الحاضر، لافي الأدب العربي فحسب بل في الآداب الإنسانية كلها بمختلف عصورها ولغاتها مَنْ أمكنه أن يحتفظ بمستوى واحد لا يقصر عنه أبداً، في كلّ ما نظم أو كتب؟!

ولا أجدني بحاجة إلى إيراد الأمثلة، فالتهذيب والانتفاء سمة عامّة لكلّ شاعر وأديب، وشعر المناسبات يختلف عن الآثار الأدبيّة المقصود منها التبرّز والظهور، وبعد التهذيب والانتقاء لايزال هناك فارق كبير في شعر أيّ شاعر، وفي أدب أيّ أديب، بين هذا الشعر وذاك وبين هذا القول وذاك!

www.noormags.ir

والرضيّ نفسه كان يعمد إلى مثل هذا، وتجد مثالاً لذلك في ديوان الرضي: ٨١٦/٢، وللدكتور الحلو إشارات إلى هذا الأمر، ولعلّ الشريف أراد لقصورته أن يعيد النظر فيها ويهذّبها أو ينتقي منها، ولكنّ المنية لم تمهله ـ في سنّ مبكّر نسبياً ـ وهي من آخر ما قاله، وأمانة الخَبْرِيّ لم تسمح له أن يصنع شيئاً لم يفعله الشاعر نفسه.

* * *

وبهذا أكون قد ناقشت ما قرّره الدكتور الحلو: (ولعل أفضل وسيلة للحكم عليها (أي المقصورة) هي الرجوع إلى قصائد الرضيّ الأُخرى في رثاء الحسين بن علي (سلام الله عليهما) على قلّة شعره في هذا الباب بالقياس إلى شعراء الشيعة فيه) ثمّ يستعرض سماتها العامّة ويميّزها عمّا جاء في المقصورة فيقول: (وقد استبان من هذا العرض للمعاني التي وردت في القصائد الأربع الأُولى، والقصيدة الأخيرة: أنّه لا نسب بين هذه الأربع وبينها، فهذه الشكاة التي تنضح بها القصيدة الأخيرة، والاستغاثة بالرسول، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم **وخصومته لبني أُمّية في الدار الآخرة**، ووقوفه موقف المظلوم، **وتعداد الأئمة، واعتبارهم الشافين من العمى، والشفعاء مع الرسول يوم القيامة** [والتأكيد على مقاطع معيّنة، إنّما هو منّا، لامن الدكتور نفسه] كلّ هذا لم نعهده من الرضيّ في رثائه لأبي عبدالله الحسين، وإنّما عهدناه ثائراً تلمع نصول السيوف في شعره، وتتطاول لها ذم الأسنّة، مهدّداً بيوم يُجرّد فيه الخيل للوغى، لا بالعقاب والحساب في يوم القيامة) (٢٤).

وتتلخّص المناقشة: نعم هناك فارق ولكن، لا بين شخصين، ولكن بين روحين: فإنّ ما نلمسه في تلك القصائد الأربع، إنّما هو روح الشريف نفسه، وما نلمسه في المقصورة إنّما هو الوجدان الشيعي المتمثّل في الشيعة ومنهم الشريف، فالشريف في ذلك يكشف عن نفسه ونفسيّاته الخاصّة به، وفيها يعبّر عن روح الولاء الذي يحمله كلّ شيعيّ حسينيّ!

٢ـ وأمّا الزيدية والإمامية وعقيدة الشريف، فأرى أنّ البحث فيه من

---

(٢٤) التصدير/١٧٠-١٧١.

www.noormags.ir

لغو القول! فلم يكن الشريف بالرجل المغمور الذي يجهل أصله، وأهله، والوسط الذي كان يعيش فيه، والذين كان يتّصل بهم، أو يتصلون به، حتّى يجهل مذهبه، ويكون مجال شكّ، ثمّ مجال بحث واستدلال! فهو إمامي معروف، معروف بأُسرته وأهله، ومن يتّصل بهم من الإمامية، لم يشك في ذلك أهله ولا أصحابه الإمامية! ولكن لاعتبارات لا تخفى، أحكي كلاما لأحدَ علماء الزيدية حول الموضوع:

قال يوسف بن يحيى بن الحسين بن (الإمام المؤيّد بالله) محمد بن (الإمام المنصور بالله) القاسم بن محمد بن علي الحسني الصنعانيّ الزيديّ (١٠٧٨/١٦٦٧-١١٢١/١٧٠٩) بعد أن ذكر جملة من قصيدة الرضيّ البائيّة في الأئمة الأثني عشر، عليهم السلام، ومنها:

سَقَى اللهُ المدينةَ من مَحَلٍّ ... لِبابَ الماءِ والنُّطَفِ العِذابِ
وجادَ علَى البقيعِ وساكنيهِ ... رَخِيَّ الذَّيْلِ مَلآنَ الوِطابِ
وأعلامَ الغَرِيّ وما استباحَتْ ... معالِمُها من الحَسَبِ اللُّبَابِ
وَقَبْراً بالطَّفوفِ يَضُمُّ شِلْواً ... قَضَى ظَمَأً إلى بَرْدِ الشَّرابِ
وسامَرّا وبَغْداداً وطُوساً ... هطولَ الوَدْقِ مُنْخَرِقَ العُبابِ (٢٥)

قال: هذه الأبيات من القصيدة أردت بإيرادها تبيين معتقد الرضي، رحمه الله تعالى، فإنّ جماعة ممّن قصر فهمهم من المؤلفين يتّهمون أنّه على مذهب الإمام أبي الحسين زيد بن زين العابدين، قدس الله روحه، ونعم ذلك المذهب الفاضل! ومن العجب أنّ منهم القاضي أحمد بن سعد الدين، مع وفور علمه واطّلاعه، ويحتجّون بأنّه كان يريد الأمر الذي كان في يد الخليفة ذلك الزمان، بدليل أبياته القافية الشهيرة ، التي كتبها إلى الطائع، ولأنّ ابن عنبة قال في عمدة الطالب: وقيل: انّ الرضي كان زيديّاً . ولم يعلموا أنّه أراد الملك لأنه أحقّ به، ولو أراد الخلافة لم تنتقض عقيدته على مذهب الإمامية، ويلزم من هذا أنّ المرتضى أخاه، حيث كان أول من بايع الخليفة هو، كان عباسيّاً، وليس كلّ من شهر السيف

(٢٥) ديوان الرضي ٩١/١.

www.noormags.ir

دعي زيديّاً! وإلّا لكان الخوارج زيدية! وهذا شعر الرضيّ وروايات العلماء عنه تأبى ذلك، وكلّ تابع لأهل البيت البررة الأتقياء مُوفّق، إن شاءَالله تعالى، وتابع جعفر الصادق وزيد بن علي لم يتبع إلّا البرّ التقي المجمع على فضله)[٢٦].

٣ـ وأمّا ما ذكره الدكتور الحلو أخيراً: (وظنّي الغالب أنّ هذه القصيدة مصنوعة ومنسوبة إلى الشريف الرضيّ، أراد صاحبها لها الذيوع والانتشار في محافل عاشوراء، فاجتهد ما وسعه الإجتهاد في أن يضع عليها مَيْسَم الرّضيّ، وخانه التوفيق في بناء بعض أبياتها، كما فضحه حشو القصيدة بعقائد لم يَمْرَن عليها الرضيُّ شعره ولم يَنْضَح بها قريضُه)[٢٧].

وأقول:

إنّ الشريف قد جعل من شعره وسيلة للتعريف بنفسه، خاصّة فيما يريد له الإذاعة والظهور، ولأجل هذا لانجد في شعره ما نجده في شعر كثير من شعراء الشيعة الذين وقفوا شعرهم لبيان عواطفهم واحاسيسهم المذهبية ـأو جعلوا ذلك أحد أهدافهم الرئيسة، ولم يكتفوا بالإفصاح عن ذاتيّاتهم الخاصّة ـ فلا نجد في شعره مديحاً خالصاً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولا لأبيه أميرالمؤمنين، وأُمّه الصدّيقة الطاهرة، عليهاالسلام، وهو في هذا يختلف عن العونيّ، وابن حمّاد، والناشيء، وقبلهم الكميت، ودِعْبِل، وأضرابهم، فنجد شعرهم شيعيّاً بل ويختلف عن أخيه الشريف المرتضى أيضاً، فهؤلاء شيعة، والتزموا أن يكشف شعرهم عن عقيدتهم، وأن يكون معبّراً عن تشيّعهم ، في حين أن الشريف كانَ شاعراً شيعيّاً، كأبي تمّام، وابن الرومي، وأمثالهما.

ولم يشتهر الشريف بالأدب المذهبي، وخاصّة في أدب الرثاء الحسينيّ، الشهرة التي تجعل المغمورين يحاولون أن يلصقوا آثارهم به فينحلون شعر غيره إيّاه، كي يرتضيه السامعون إذا تُلي عليهم منسوباً إلى الرضيّ فيروج عندهم! والنائحون

---

(٢٦) نسمة السحر في ذكر من تشيّع وشعر، ترجمة الشريف الرضيّ، مخطوط ـ المصوّرة التي أملكها، ج ٢، الورقة (٤٦١/ب ـ ٤٦٢/أ).

(٢٧) التصدير/٧٢.

www.noormags.ir

والنائحات، وقرّاء المآتم، ومنشدو مجالس العزاء الحسينيّ إنّما يهتمّون بمضمون الشعر ومدى تأثيره على السامع أكثر ما يهمّهم الشاعر نفسه، بل إنّ الشاعر يغفل عنه غالباً عندهم وعند السامعين على سواء، فلا يسمّونه إلّا نادرا، ولأغراض خارجة عن اطار القِراءة وإقامة المأتم.

ولا يسعني أن أتجاوز هذا الموضوع إلّا وأن أذكر واحداً من هؤلاء، وقد أدرك عصره الشريف، وسمع الكثير من شعره، وهو الناشىء البغدادي، عليّ ابن عبدالله بن وصيف (٢٧١/٨٨٤-٣٦٦/٩٧٦) (صاحب المراثي الكثيرة في أهل البيت) [٢٨] قال معاصره وصديقه وحاكي سيرته وقضاياه، الحسين بن محمد الخالع، الأُموي نسباً، البغدادي، (٣٣٣/٩٤٥-٤٢٢/١٠٣١): (وكان الناشىء قؤوماً بالكلام والجدل، يعتقد الإمامة ويناظر عليها بأجود عبارة، فاستنفد عمره في مديح أهل البيت حتّى عُرف بهم، وأشعاره فيهم لا تحصى كثرة) [٢٩] وراجع قضاياه، بل وكراماته في النوح بشعره في ياقوت: ٥/٢٤٠-٢٤١، لسان الميزان: ٤/٢٣٩-٢٤٠، وإذا أردت نموذجاً لما كان يناح به يومذاك في المآتم، بل وإلى قرابة قرنين بعد ذلك العصر، وهو عصر الخطيب الخوارزمي، الموفّق بن أحمد الحنفي (٤٨٤/١٠٩١-٥٦٨/١١٧٢)، ونموذجاً أيضاً لشعر الناشىء، فارجع إلى ما حكاه الخطيب الخوارزمي من شعره في مقتل الحسين عليه السلام: ٢/١٤٥-١٤٧ صدرّه بقوله: (وللناشىء، علي بن وصيف، ممّا يناح به في المآتم).

وأنا أعجب من الدكتور أنّه يعمد إلى أبعد الإحتمالات من الواقع، وأقربها إلى عالم الخيال والوهم، فيختاره، ويغلب ظنّه عليه، وهو أنّ شاعراً مغموراً له القدرة على مجاراة الشريف الرضيّ، ولكنّه ينسى نفسه ولا يشيد بمقدرته الشخصيّة، بل يتقمّص الشريف الرضي، ويقلّده في قصيدة عدد أبياتها اثنان وستّون بيتاً، يوفّق في ذلك، إلّا في عدّة أبيات!! فلم لم يسلّم الدكتور بأنّ الرضيّ نفسه هو القائل، وأنّه هو الذي خانه التوفيق -إن كان الدكتور مصرّاً على هذه

---

(٢٨) ابن الأثير: ٨/٦٨٨، ابن خلّكان: ٣/٣٦٩، لسان الميزان: ٤/٢٣٨.

(٢٩) معجم الأُدباء: ٥/٢٣٥.

www.noormags.ir

الخيانة!!-.

ولا تفسير لهذا الاختيار الشاذ عندي سوى أنّ الإعلام الصدامي يرضيه هذا الاختيار، مهما كان بعيداً متكلّفاً فيه، ويغضبه إذاعة الواقع، وإن دلّت عليه الحجّة، وكان هو التفسير الطبيعي والمعقول المقبول.

وأنا أعجب أكثر من قوله: (وفضحه حشو القصيدة بعقائد لم يَمْرّن عليها الرضي...) كيف لم يمرن عليها الشريف، وقد مرّ قبيل هذا نموذج من قول الشريف، ولا أظنّ أنّ الدكتور لم يقرأ بائية الشريف التي حكينا أبياتاً منها قبيل! والدكتور نفسه قد قرأ ما قاله صاحب نسمة السحر، ويحكي عنه جملة من قوله في هامش/٥١-٥٢ من التصدير.

وآخر ما أقوله: إنّ الإعلام الصدّامي لم يرد لنفسه أن يكون ناشراً للمقصورة، ولا للشريف أن يُعْرَف بأنّه القائل لها، فحذفها من الديوان ثمّ أوحى إلى من أوحى بأن يضع المعاذير لذلك!! (بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره) (٣٠).

* * *

والكلمة الأخيرة: أنّا إن سلّمنا جدلاً بأن ما قاله الدكتور الحلوحول المقصورة كلّه صحيح لا مطعن فيه لطاعن، ولكنّه بحذفه المقصورة قد فتح الباب لنوع من التحريف السافر، والتلاعب المُعْلن به بالكتب والآثار، لم يسبق أنْ فتحه قبله أحد! فإنّ القاعدة الأساسية المتّبعة في نشر النصوص -والدكتور نفسه من أمَسّ من يتّصل بها ويعرفها، بحكم عمله في قسم المخطوطات في جامعة الدول العربية- الاحتفاظ بالنصّ في صورته الأصلية التي أرادها المؤلف له، وعمل المحقّق والناشر لا يَعْدو تقويم النصّ وإعطاء أقرب صورة وأوثقها إلى التي اختارها المؤلف.

والدكتور قد تولّى نشر ديوان الرضي لا على أساس أنّه هو الذي جمعه، فله أن يختار ما وثق بنسبته إلى الشريف، ويحذف ما كان على ريب من ذلك،

(٣٠) القيامة ٧٥: ١٤-١٥.

www.noormags.ir

بل على أساس أنّه ناشر لعمل جامع آخر، وهو الخَبْري الذي تولّى الجمع، والطبعة نفسها تحمل هذا العنوان: (صنعة أبي حَكيم الخَبْرِي)، والتزاماً منه بالأمانة بالعلمية احتفظ الدكتور بنظام الخَبْري القائم على أساس الأغراض، لا التنظيم على أساس حروف القوافي، الذي حُوِّل الديوان إليه في كثير من مخطوطاته ـ كما يذكر الدكتور في التصدير ـ وهكذا في طبعاته السابقة، ومنها الطبعة البيروتية الأُولى. ولا شكّ أنّ الخَبْري ـ ويسلّم بذلك الدكتور ـ قد أثبت المقصورة في الزيادات التي ألحقها بالديوان.

فأقصى ما هو المسموح به للدكتور أن يبدي ريبه من نسبة المقصورة إلى الشريف، في التصدير أو عندما تأتي في صلب الديوان، كما صنعه بعض النسّاخ أو القرّاء، وحكى الدكتور صنيعهم في التصدير. وصنيع الدكتور قد تجاوز كلّ هذه الاعتبارات، وخرق السُنَّة المتّبعة في الاحتفاظ بالنصوص ـ على ما هي عليه، وكما هي ـ وليس لنا إلّا الحكم بأنّه خيانة واضحة للأمانة العلمية، ونقض فاضح لقواعد نشر النصوص، وسُنَّة سيّئة قد سَنَّها الدكتور لتبرير التحريف والتلاعب، فعليه وزرها ووزر من عمل بها (لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ) [النحل، ١٦/٢٥] ـ نسأل الله سبحانه أن يُجَنِّبَنا ويجنّب الناشرين الاستنان بها ـ

www.noormags.ir

كربلا كرب و بلا

قال وهو بالحاير الحسيني يرثي
جده سيده الشهداء عليه السلام:

كَرْبَلا، لازِلْتِ كَرْباً وَبَلا، مَا لَقِي عِنْدَكِ آلُ المُصْطَفَى
كَمْ عَلى تُرْبِكِ لَمّا صُرّعُوا، مِنْ دمٍ سَالَ وَمِنْ دَمعٍ جَرَى
كَمْ حَصَانِ الذّيلِ يَرْوِي دَمعُها خَدَّهَا عِنْدَ قَتيلٍ بالظّمَا
تَمْسَحُ التُّرْبَ عَلى إعْجَالِهَا، عَنْ طُلَى نَحْرٍ رَمِيلٍ بالدّمَا
(٥) وَضُيُوفٍ لِفَلاةٍ قَفْرَةٍ، نَزَلُوا فيها عَلى غَيرِ قِرَى
لَمْ يَذُوقُوا المَاءَ حَتى اجتَمَعُوا، بِحِدَى السّيفِ على وِرْدِ الرّدَى
تَكْسِفُ الشّمسُ شُموساً مِنهُمُ لاتُدانِيهَا ضِيَاءً وَعُلى
وَتَنُوشُ الوَحْشُ مِنْ أجسادِهِم أرْجُلَ السّبْقِ وَأيْمَانَ النّدَى
وَوُجُوهاً كَالمَصابيحِ، فَمِنْ نَهْبِ غَابٍ، وَنَجِيمٍ قَدْ هَوَى
(١٠) غَيّرَتْهُنّ اللّيَالي، وَغَدَا جَايِرَ الحُكْمِ عَلَيهِنّ البِلَى
يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ عَايَنْتَهُمْ، وَهُمُ مَا بَينَ قَتْلَى وَسِبَا
مِنْ رَمِيضٍ يُمْنَعُ الظّلّ، وَمن عَاطِشٍ يُسقَى أنَابيبَ القَنَا
وَمَسُوقٍ عَاثِرٍ يُسْعَى بِهِ خَلْفَ مَحْمُولٍ عَلى غَيرِ وَطَا
مُشْعَبٍ يَشكُو أذَى السّيرِ عَلى نَقبِ المَنسِمِ، مَجزُولِ المَطَا
(١٥) لَرَأتْ عَيْنَاكَ مِنهُمْ مَنْظَراً لِلحَشَى شَجْواً، وَلِلعَينِ قَذَى
لَيْسَ هذا الرّسُولِ اللهِ، يَا أُمّةَ الطّغْيَانِ وَالبَغي، جَزَا
غَارِسٌ لَمْ يَأْلُ في الغَرْسِ لَهُمْ، فَأذاقُوا أهْلَهُ مُرّ الجَنَى
جَزَرُوا جَزْرَ الأضَاحي نَسْلَهُ، ثُمّ سَاقُوا أهلَهُ سَوْقَ الإمَا
مُعجَلاتٍ لا يُوَارِينَ ضُحَى، سُنَنَ الأوْجُهِ أوْبِيضَ الطُّلَى
(٢٠) هَاتِفَاتٍ بِرَسُولِ اللهِ في يَوْمَ لا كِسْرَ حِجَابٍ مَانِعٌ
بُهَرِ السّعْيِ، وَعَثْرَاتِ الخُطَى بِذْلَةَ العَيْنِ وَلا ظِلّ خِبَا

www.noormags.ir

أدْرِكَ الكُفْرُ بِهِمْ ثَارَاتِهِ ، وَأَزِيلَ الغَيّ مِنْهُمْ فاشْتَفَى
يا قَتِيلاً قَوّضَ الدّهْرُ بِهِ عُمُدَ الدّينِ وَأعْلامَ الهُدَى
قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمُ أنّهُ خامِسُ أصْحابِ الكِسَا

وَصَرِيعاً عَالَجَ المَوْتَ بِلاَ شَدّ لَحْيَيْنِ وَلا مَدّ رِدَا (٢٥)
غَسَلُوهُ بِدَمِ الطّعْنِ، وَمَا كَفّنُوهُ غَيْرَ بَوْغَاءِ الثّرَى
مُرْهَقاً يَدْعُو، ولا غَوْثَ لَهُ، بِأَبٍ بَرٍّ وَ جَدٍّ مُصْطَفى
وَبِأُمٍّ رَفَعَ اللهُ لَهَا عَلَماً مَا بَيْنَ نُسْوَانِ الوَرَى
أيُّ جَدٍّ وَأَبٍ يَدْعُوهُمَا، جَدّ، يا جَدّ، أغِثْنِي يا أبَا
يا رَسُولَ اللهِ يَا فَاطِمَةٌ، يا أمِيرَ المُؤمِنِينَ المُرْتَضَى (٣٠)
كَيْفَ لَمْ يَسْتَعجِلِ اللهُ لَهُمْ بانقِلابِ الأرْضِ أوْرَجمِ السّمَا
لَوْبِسبْطَيْ قَيصَرٍ، أوْهِرَقْلٍ فَعَلُوا فِعْلَ يَزِيدٍ، مَا عَدَا
كَمْ رِقَابٍ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ عُرِقَتْ ما بينَهمْ، عَرْقَ المِدَى
وَاختَلاها السّيفُ حَتّى خِلْتَها سَلَمَ الأبرَقِ، أوْطَلحَ العُرَى
حَمَلُوا رَأساً يُصَلّونَ عَلى جَدّهِ الأكْرَمِ طَوْعاً وَإبَا (٣٥)
يَتَهَادَى بَيْنَهُمْ لَمْ يَنْقُضُوا عَمَمَ الهَامِ، وُلا حَلّوا الحُبَى
مَيّتٌ تَبْكي لَهُ فَاطِمةٌ، وَأبُوها، وَعَلِيٌّ ذُوالعُلَى
لَوْرَسُولُ اللهِ يَحْيَا بَعْدَهُ، قَعَدَ اليَوْمَ عَلَيْهِ لِلعَزَا
مَعْشَرٌ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ وَا دِ كاشَفُ الكَرْبِ، إذا الكَرْبُ عَرا

صِهْرُهُ البَاذِلُ عَنْهُ نَفْسَهُ، وَحُسَامُ اللهِ فِي يَوْمِ الوَغَى (٤٠)
أوّلُ النّاسِ إلى الدّاعِي الّذِي لَمْ يُقَدّمْ غَيْرَهُ لَمّا دَعَا
ثُمّ سِبْطَاهُ الشّهِيدانِ، فَذا بِحَسَا السّمّ، وَهذا بِالظُّبَى
وَعَلِيّ، وَابنُهُ البَاقِرُ، وَالصـ ـادِقُ القَوْلِ، وَموسَى، وَالرّضَا
وَعَلِيّ، وَأبُوهُ وَابْنُهُ، وَالّذي يَنْتَظِرُ القَوْمُ غَدَا
ياجِبَالَ المَجْدِ عِزّاً وَعُلَىً، وَبُدُورَ الأرْضِ نُوراً وَسَنَا (٤٥)
جَعَلَ اللهُ الّذِي نَابَكُمُ سَبَبَ الوَجْدِ طَوِيلاً وَالبُكَا

www.noormags.ir

لا أرَى حُـزْنَـكُـمُ يُـنسَـى، وَلا ... رُزْءَ كـم يُسلى، وَإنْ طالَ المَدَى
قَد مضىَ الدّهـرُ، وَعَفىّ بَعدكمْ، ... لا الجَوَى باخَ، وَلا الـدّمـعُ رَقَا
أنـتُـمُ الشّـافُونَ مِـنْ داءِ العَمَى، ... وَغداً سـاقُـونَ مِـنْ حـوْضِ الرّوَا
(٥٠) نَزَل الدّينُ عَلَيْكُم بَيتَكُمْ، ... وَتَخطىّ الـنـاسَ طُـرّاً، وَطَوَى
أينَ عَـنـكُـمْ لِلّذي يَبغي بِكُمْ ... ظِـلّ عَـدْنٍ دُونَـهـا حَـرُّ لَظَـى
أيـنَ عَـنْـكُـمْ لـمُضِلّ طـالِـبٍ ... وَضَحَ السُّـبْـلِ وَأقـارَ الـدّجَـى
أينَ عَـنـكُـمْ لِلّذِي يَرْجُوبِكُمْ ... مَـعْ رَسُـولِ اللهِ فَـوْزاً وَنَـجَـا
يَـوْمَ يَـغْدُووَجْـهُـهُ عَنْ مَـعشَرٍ ... مُعرِضاً مُـمْـتَـنِـعاً عِنَدَ اللّقَا
(٥٥) شاكِياً مِـنهُـمْ إلى اللهِ، وَهَلْ ... يُـفـلِحُ الجِـيلُ الّذي مِنْهُ شَكَا
رَبّ! مـا حـامَـوْا، وَلا آوَوْا، وَلا ... نَصَـرُوا أهْلي، وَلا أغْـنَـوْا غَـنَـا
بَـدّلُـوا دِيني، ونَـالُـوا أُسـرَتي ... بـالعَظيـماتِ، وَلَـمْ يَرْعَوْا أَلَى
لَـوْوَلي مَـا قَـدْ وَلُوا مِـنْ عِـتـرَتي ... قَـائِـمُ الشّـرْكِ لأبْـقَـى وَرَعَى
نَـقَضُـوا عَـهـدي، وَقَـدْ أبرَمْـتُـهُ، ... وَعُـرَى الـدّيـنِ، فَما أبـقَـوْا عُـرَى
(٦٠) حُرَمي مُسْـتَـرْدَفَاتٌ، وَبَـنُو ... بِـنْـتِـيَ الأدْنَـوْنَ ذِبْـحٌ لِـلـعِدَى
أتُـرَى لَسـتُ لَـدَيْـهِـمْ كـامـرِئٍ ... خَـلّـفُـوهُ بِـجَـمِـيـلٍ إذْ مَضَى
رَبّ! إنّـي اليَـوْمَ خَصْـمٌ لَـهُـمُ، ... جِـئـتُ مَظلُـومـاً وَذا يَـوْمُ القَضَا

للبحث صلة...

www.noormags.ir